الاساليب البلاغية في سورة لقمان

د. إسماعيل أشرف[1] & أ.م.د.عبدالله حسيني[2]

جامعة الخوارزمي، كلية الاداب والعلوم الانسانية/ طهران

تسليم البحث :2016/9/1 قبول النشر:2017/1/26

الخلاصة

كانت رغبة العلماء في فهم القرآن الكريم للوقوف على أسرار إعجازه ودقائق تشريعاته من أهمّ الأسباب الّتي جعلتهم يقبلون على تعلّم اللغة العربيّة واتقان آدابها، خاصّةً بلاغتها، من أجل ذلك قام العلماء عامةً والمسلمون خاصةً بجهودٍ محمودةٍ تجاه القرآن الكريم ففسّروا تراكيبه ودرسوا أسلوب بيانه وخرّجوا بلاغته وشرحوها شرحاً وافياً. للقرآن الكريم أثره البعيد المدى في رقيّ البلاغة، وأيّدت بلاغةُ القرآن إعجازَه. إنّ الأسلوب في سورة لقمان يميل إلى اللهجة الخطابيّة وقصر الآيات وكثرة الإيجاز والقصر والكناية والاستعارة، وحفلت آيات هذه السورة بالتصوير الحسي والتجسيم، خاصة حين تتحدث عن يوم القيامة. نرى القصر وله ميزة بارزة في هذه السورة، وقصر الموصوف على الصفة أكثر استعمالاً فيها بسبب الغرض الذي تتبع هذه السورة وهو توحيد الله. إنّ مواضع الفصل خاصة شبه كمال الاتّصال تتصل اتصالاً وثيقاً بسياق السورة وهو سرد القصة والحوار بين لقمان وابنه. قد وُظّفت الأساليب البيانيّة في سورة لقمان لبيان إعجاز القرآن الكريم، وإظهار عظمته والكشف عن الغاية من نزوله. وتحدثنا فى هذه المقالة عن الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم ممّا يتصل ببلاغة سورة لقمان على مستوى المعاني والبيان والبديع.

المقدّمة

القرآن الكريم هو طريق الهداية والرحمة للبشر وهو «كتابٌ ختم اللهُ به الكتب وأنزله الله على نبيّنا محمد (صلى الله عليه واله وسلم) خاتم الأنبياء برسالة خالدة ختم بها الرسالات. فهو المعجز ببديع نظمه وحسن تأليفه وهو حجّة الله لنبيّه والآية الكبرى الدّالة على نبوته. وهو حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرّد، من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم. امتاز القرآن عن بقية الكتب السماويّة بوصوله إلينا خالياً من التّبديل والتغيير والتحريف والزيادة والنقض، وذلك بالعناية الّتي بعثها الله في نفوس الأمّة المحمديّة أسوة بمعلمها الأوّل محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وتحقيقاً لوعد الله جلَّ وعلا»[3] حيث يقول في كتابه: ﴿إنّا نحن نزّلنا الذّكر وانّا له لحافظون﴾[4]. ولاتزال قضيّة الإعجاز القرآني تدفع العلماء إلى استنباط الوجوه البلاغيّة وتعميقها ليدرك الناس كيف بلغ هذا التنزيل العزيز حدّ الإعجاز[5]. وقد جاءت أهمية هذه الدراسة تضمنت الاسلوب البلاغي في سورة لقمان وقوفاً على الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم. وقد قيل إنّ السور المكيّة تميل إلى اللهجة الخطابيّة والوقع الشديد وقصر السور والآيات وكثرة الإيجاز والقصر والكناية والتشبيه والاستعارة[6]، لذا نريد أن أبيّن وأحلّل هذه المواضع

في سورة لقمان لكي نصل إلى صحّة هذه الفرضيّة. اختر سورة لقمان في هذه الدراسة فلأنها تشتمل كثيراً على الحكم التي تمثّل في ألوان عدّة من التناسب البلاغي مما جعلنا أن ندرس الإعجاز البلاغي في هذه السورة المباركة، ولأنّ في قراءتها فضلاً كبيراً حيث قال نبينا محمد (صلى الله عليه واله وسلم) في تفضيل هذه السورة: «من قرأ سورة لقمان، كان لقمان رفيقاً له يومَ القيامة وأُعطيَ من الحسنات عشراً عشراً بعددِ مَن عمل بالمعروفِ ونهى عن المنكر»[٧]. وقد قسمنا البحث إلى ثلاثة مستويات، أولها مستوى المعاني وقدمنا في هذا القسم، الإيجاز، الإطناب، القصر، والوصل والفصل. ثانيها المستوى البياني وقد تناول البحث، التشبيه، الاستعارة، الكناية، والمجاز. ثالثها المستوى البديعي وشمل البحث الاستطراد، مراعات النظير، الطباق، العكس، الجمع، واللف والنشر. وقد اعتمدت في كتابة المقالة المنهج التطبيقي والتوصيفي. أما اسئلة البحث هي:

في الواقع الهدف من كتابة هذه المقالة الإجابة على الأسئلة التاليّة:

١. ما هو أسلوب سورة لقمان؟

٢. أي نوع من أنواع القصر أكثر استعمالاً في هذه السورة؟ وما هي صلته بالنسبة للهدف الذي تتبعه السورة؟

٣. ما هي العلاقة بين سياق السورة ومواضع الفصل فيها؟

و هنا سنشىر إلى الدراسات السابقة التي تم الحصول علىها في موضوع البحث:

لا توجد على حسب المعلومات المتوفرة مقالة خاصة بهذا العنوان، وهناك مقالات كثيرة حول الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، منها:

١. «أضواء على الإعجاز البلاغي في سورة الفاتحة»[٨]:

تحدث الكاتب هنا أولاً عن «الدلائل البلاغيّة العامة لإعجاز السورة» وهي أسماء السورة وصفاتها وفضلها، ودلالة تسمية هذه السورة بأم القرآن وبسورة الصلاة وبسورة الشفاء والشافية، واشتمالها على الردّ على أهل الشافية. وتحدث عن الإيجاز بالقصر.

وثانياً تطرّق الباحث إلى «بلاغة الكلمات والتراكيب في السورة». ركزت المقالة هنا على توضيح بلاغة الكلمات والتراكيب من وجهة نظر علم المعاني، دون أن يتطرق الكاتب هنا إلى علمي البيان والبديع. وذكر الباحث في النتيجة، الدلائل البلاغية العامة لإعجاز السورة، وأيضاً تحدث عن الفنون البلاغيّة المستعملة في السورة بذكر نموذج منها.

٢.((القران الكريم – ظهور وترقية العلوم البلاغية)) [٩]:

تحدث الكاتب هنا أولاً عن الإعجاز البياني للقرآن الكريم. تناولت المقالة في هذا القسم، الإعجازَ من وجهة نظر اللغة والاصطلاح، والإعجاز اللفظي للقرآن الكريم وتقابل القرآن مع كلام العرب. ثانياً: تكلم الكاتب عن مسيرة تكوين العلوم البلاغيّة في ظلّ القرآن الكريم.

٣. «((الوظائف وخصائص صناعة التشبيه التمثيلي البلاغية في القران الكريم))[١٠].

تحدثت المقالة عن التشبيه والتمثيل وأيضاً ركّزت على وظائف التمثيل والتشبيه في القرآن الكريم.

وأمّا مقالتنا هذه فتكلّمنا فيها عن الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وركّزنا على آراء البلاغيين في توضيح المسائل البلاغيّة في سورة لقمان، فتحدثنا عن بلاغة المفردات والتراكيب على مستوى المعاني والبيان والبديع، وأشرنا في النتيجة إلى مدى تناسب الأغراض البلاغية مع هدف السورة لإيصال غرض الباري تعالى.

المبحث الأول: مستوى المعاني واعجازه البلاغي في سورة لقمان

النظم، منشأ إعجاز القرآن في سورة لقمان

يتحدّث عبدالقاهر الجرجاني عن إعجاز القرآن حيث يقول: «إنّ الوصف الإعجازي ينبغي أن يكون وصفاً قد تجدّد بالقرآن وأمراً لم يوجد في غيره ولم يُعرف قبل نزوله، وإذا كان كذلك فقد وجبَ أن يُعلَم أنّه لا يجوز أن يكون في الكلم المفردة، لأنّ تقدير كونه فيها يؤدّي إلى المحال وهو أن تكون الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة، قد حدث في حذاقة حروفها وأصواتها، أوصافٌ لم تكن، لتكون تلك الأوصاف فيها قبل نزول القرآن، وتكون قد اختصّت في أنفسها بهيئات وصفات يسمعها السامعون عليها إذا كانت متلوة في القرآن، ولا يجدون لها تلك الهيئات والصفات خارج القرآن. ولا يجوز أن يكون إعجاز القرآن في معاني الكلم المفردة التي هي لها بوضع اللغة، لأنّه يؤدّي إلى أن يكون قد تجدّد في معنى الحمد والربّ ومعنى العالمين والملك واليوم والدين وهكذا وصف لم يكن قبل نزول القرآن. وهذا ما لو كان ههنا شيء أبعد من المحال وأشنع، لكان إيّاه»[١١]. نرى الجرجاني لم يضع إعجاز القرآن في الكلم المفردة ومعانيها لأنّها في أيدي الناس قبل نزول القرآن على نبينا محمد (ص).

يواصل عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) كلامه عن إعجاز القرآن قائلاً: «الألفاظ المفردة سواء من حيث أصواتها أو من حيث معانيها لا تدخل في إعجاز القرآن البلاغي، وبالتالي لا تدخل في الفصاحة لأنَّ ذلك يؤدّي إلى أنّ الألفاظ معجزة بأوصافها اللغويّة وما يُطوى فيها من أصواتها وزنة حركاتها وسكناتها، ولو صحّ ذلك لبطل إعجاز القرآن، وإنّ هذا الإعجاز شيء تجدّد بنزوله بعد أن كان معدوماً، وحدث بعد أن كان مفقوداً. يتوسّع عبدالقاهر في بسط هذه الفكرة ليؤكّد أنّه حتى زنة كلمات القرآن ونظام فواصله لا يدخل في الإعجاز، إذ الفواصل في الآيات كالقوافي في الشعر، ولو أنّها كانت موضع التحدّي لَاستطاعوا معارضة القرآن بفضول من الكلام لها نفس مقاطعه وفواصله على نحو ما صنع مسيلمة الكذاب. وينكر أن تكون الاستعارة أصلاً في الإعجاز لأنّها تجري في آيات معدودة. ولا يلبث أن يستدلّ على بطلان أن تكون الفصاحة صفة للفظ من حيث هو لفظ استدلالاً منطقيّاً، يقول: لا تخلو الفصاحة من أن تكون صفة في اللفظ محسوسة تدرك بالسمع أو تكون صفة فيه معقولة تُعرف بالقلب، فمحال أن تكون صفة في اللفظ محسوسة، لأنّها لو كانت كذلك لكان ينبغي أن يستوى السامعون للّفظ الفصيح في العلم بكونه فصيحاً، وإذا بطل أن تكون محسوسة وجب الحكم ضرورة بأنّها صفة معقولة وإذا وجب الحكم بكونها صفة معقولة فإنا لا نعرف للفظ صفة يكون طريق معرفتها العقل دون الحس إلا دلالته على معناه، وإذا كان كذلك لزم منه العلم بأن وصفنا للفظ بالفصاحة وصف له من جهة معناه لا من جهة نفسه»[١٢]. لا يرى الجرجاني إعجاز القرآن في حركات الألفاظ وسكناتها وأيضاً لا يراه في فواصل الآيات، لأنّها تساوي القوافي في الشعر وذلك شيء خلاف إعجاز القرآن.

ليس مراد الجرجاني بالمعنى هنا مدلول اللفظ ولا دلالات الألفاظ وأغراضها لأنّها مثل الألفاظ نفسها ولا تدخل في إعجاز القرآن بل «نراه يعترف بالمعنى المتداول للفصاحة الذي توصف به المفردات، إذ يقول:(إعلم أنّ الكلام الفصيح ينقسم قسمين، قسم تُعزى المزية والحسن فيه إلى اللفظ، وقسم يُعزى ذلك فيه إلى النظم. فالقسم الأوّل الكناية، الاستعارة والتمثيل الكائن على حدّ

الاستعارة وكلّ ما كان فيه على الجملة مجاز واتساع وعدول باللفظ عن الظاهر). وهو بذلك يجعل الفصاحة قسمين، قسماً يلتقي بالنظم وقسماً يلتقي بحسن اللفظ

وقد أدخل فيه الصور البيانيّة مؤتسياً بالجاحظ في الكلمة التي قال فيها إنّ المعاني مطروحة في الطريق وسوّى فيها بين الخاصة والعامة قائلاً إنّ العبرة في البلاغة باللفظ وإنّ المدار في الشعر على الصياغة والتصوير، وبذلك أدخل في اللفظ، الصور البيانيّة. ومن هذه المزايا المتصلة بفصاحة اللفظ، عذوبته وسلاسته وسهولة مخارجه في النطق، وكلّ ذلك إنّما هو من صفات الفصاحة التي لا تدخل في إثبات الإعجاز القرآني. يقول عبدالقاهر: واعلم أنا لا نأبى أن تكون حذاقة الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان داخلاً فيما يوجب الفضيلة وأن تكون مما يؤكّد أمر الإعجاز، وإنّما الذي ننكره ونفيّل رأي من يذهب إليه أن يجعله معجزاً به وحده ويجعله الأصل والعمدة. وواضح من ذلك كلّه أنَّ عبد القاهر يردّ إعجاز القرآن إلى خصائص في أسلوبه وراء جمال اللفظ والمعنى، أو بعبارة أخرى إلى خصائص في نظمه الذي تطرّد في جميع آياته»[١٣]. نستنتج من كلام الجرجاني أنّ إعجاز القرآن في نظم وترتيب الكلمات والارتباط الموجود بينها لأداء المعنى المقصود، ولا يكون شيئاً سوى ذلك، وهذا ما أكّده الجرجاني في بيانه عن إعجاز القرآن.

سورة لقمان

سورة لقمان مكيّة وتحتوي على ٣٤ آيةً. تحدث ابن عاشور حول تسمية هذه السورة حيث قال: «سميت هذه السورة بإضافتها إلى لقمان، لأنّ فيها ذكراً للقمان وحكمته وجملاً من حكمته التي أدّب بها ابنه وليس لها اسم غير هذا الاسم»[١٤]. وأيضاً سمّيت بهذا الاسم «لاشتمالها على قصته التي تضمّنت فضيلة الحكمة وسرّ معرفة الله وصفاته، وذم الشرك والأمر بالأخلاق والأفعال الحميدة، والنهي عن الذميمة وهي معظمات مقاصد القرآن»[١٥]. نجد هذه السورة الكريمة وهي «تعالج قضيّة العقيدة في نفوس المشركين، وتؤكّد على ضرورة رسوخها في النفوس، وهذه القضيّة تتلخص في توحيد الخالق وعبادته وحده وشكره وفي اليقين بالآخرة، وفي اتباع ما أنزل الله وهذا هو موضوع السورة الرئيس الذي تنبثق منه عدة مقاصد وأهداف، منها:

١. بيان معجزة النبي الخالدة وهي القرآن الكريم وموقف الناس منه.
٢. الحديث عن أدلة الوحدانيّة والقدرة العظيمة لله تعالى.
٣. النعي على الكفار في تقليدهم الآباء وجحودهم نعم الله الكثيرة.
٤. بيان الأمر بالتقوى والخوف من عذاب يوم القيامة الذي لابدّ من إتيانه، ولا أمل فيه بنُصرة أحد، وعدم الاغترار بمتاع الدنيا وزخرفها.
٥. بيان مفاتيح الغيب، وأنّ الله محيط علمه بالكائنات جميعها»[١٦]. هذه هي المقاصد التي تهدفها هذه السورة وتركّز على تبيين هذه الأغراض في آياتها. فقد عني هذا البحث بالحديث عن الإعجاز البلاغي في سورة لقمان على ثلاثة مستويات، أولاً مستوى المعاني، ثانياً المستوى البياني وثالثاً المستوى البديعي.

مستوى المعاني في سورة لقمان

١.الإيجاز: حدّد أحمد الهاشمي الإيجازَ بقوله: «هو جمع المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل الوافي بالغرض المقصود مع الإبانة والإفصاح. وهو على نوعين: الإيجاز بالحذف وهو يكون بحذف شيء من العبارة لا يخلّ بالفهم مع قرينة تعيّن المحذوف. والإيجاز بالقصر وهو يكون بتضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف»[١٧]. يتحدث ابن الأثير حول أقسام الإيجاز بقوله: «إنّ القسم الأول من الإيجاز وهو الإيجاز بالحذف يُتنبّه له من غير كبير كلفة في استخراجه لمكان المحذوف منه. وأمّا القسم الثاني فإنّ التنبه له عسر، لأنّه يحتاج إلى فضل تأمّل وطول فكرة لخفاء ما يتبدل عليه ولا يستنبط ذلك إلا من رست قدمه في ممارسة علم البيان وصار له خليقة وملكة»[١٨]. نبّه الرماني على الإيجاز، حيث يقول: «إنّ الإيجاز يعتريه نوع من الغموض على مستوى إفهام المعنى، إلا أنّ الإيجاز بالقصر أغمض من الإيجاز بالحذف وقد استأثر بقمته من القرآن الكريم»[١٩]. يبدو لنا أنّ الإيجاز بالقصر أشدّ غموضاً بالنسبة لإيجاز الحذف لما فيه من المعاني المختلفة التي يقع السامع في العسرة لفهمها، ولا يدرك هذا المعنى إلا من يكون له من الفطنة شيء كثير، على خلاف إيجاز الحذف بأنّ السامع لا يحتاج إلى الوعي الكثير لإدراكه لما في الجملة من القرينة اللفظية أو المعنويّة للوصول إلى المحذوف.

الأوّل) إيجاز القصر

ورد إيجاز القصر في الآيتين التاليتين من سورة لقمان:

﴿ أو لم تروا أنّ الله سخّر لكم ما في السّموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمَه ظاهرةً وباطنةً ومن النّاس من يجادل في الله بغير علمٍ ولا هدى ولا كتاب منير ﴾. (٢٠)

قوله «ما في السّموات» أي الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغيره[٢٠]. و«ما في الأرض» أي البحار والأنهار والمعادن والدّواب وما لا يُحصى[٢١].

﴿يا أيها الناس اتّقوا ربَّكم واخشوا يوماً لا يجزي والدٌ عن ولده ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئاً إنَّ وعدَ الله حقٌّ فلا تغرَّنّكم الحياة الدّنيا ولا يغُرنَّكم بالله الغرورُ ﴾ (٣٣)

قوله «الحياة الدّنيا» يشمل زينة الحياة الدنيا ولذّاتها ونعيمها وما فيها من الفتن والمحن[٢٢].

سُمّيَت لغة القرآن، لغة الإيجاز، والإيجاز حلية القرآن[٢٣]. وأراد الله تبارك وتعالى من الإيجاز بالقصر أوّلاً الاختصار وتسهيل الحفظ وثانياً أن يعطي المخاطب، المعاني الكثيرة بالألفاظ اليسيرة، وهذا يعني بلاغة الإيجاز بالقصر وتجعل المخاطب بغوره في كُنهِ الموضوع أن يقع المعنى في ذهنه أحسن وقوع.

الثاني) إيجاز الحذف

ورد إيجاز الحذف في الآيات التالية من سورة لقمان:

﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علمٌ فلا تطعهما وصاحبهما في الدّنيا معروفاً واتّبع سبيلَ من أناب إليَّ ثمَّ إليَّ مرجعكم فأنبّئكم بما كنتم تعلمون ﴾ (١٥)

حُذف هنا الموصوف في قوله «وصاحبهما في الدّنيا معروفاً» وأصل الكلام: وصاحبهما في الدنيا صحاباً معروفاً[٢٤]. تدلّ على المحذوف قرينة لفظيّة وهي كلمة «صاحبهما»، على أن «معروفاً» وصف لمصدر محذوف، وهذا المحذوف يكون المفعول المطلق ل«صاحبهما».

وقال الزمخشري: صحاباً أو مصاحباً معروفا[٢٥]. إنّ باب المفاعلة له مصدران، (فعال ومفاعلة) وأشار الزمخشري إلى اثنين، في تقدير المحذوف.

﴿ أو لم تروا أنّ اللهَ سَخَّر لكم ما في السّمواتِ وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمَه ظاهرةً وباطنةً ومِن النّاس مَن يجادل في الله بغيرِ علمٍ ولا هدىً ولا كتاب منير ﴾ (٢٠)

المحذوف هنا اسم مضاف أي من يجادل في توحيد الله[٢٦]. وأيضاً أشار ابن عاشور إلى أنّ المحذوف هو كلمة «وحدانية» أي: من يجادل في وحدانية الله[٢٧]. القرينة التي تدلّ على ذلك هي القرينة المعنويّة في الآية.

﴿ ولئن سألتُهم مَن خَلق السّماواتِ والأرض ليقولنَّ اللهُ، قُل الحمدُ لله بل أكثرُهم لا يعلمون﴾ (٢٥)

حُذف المسند هنا أي ليقولنَّ خَلَقهنّ الله[٢٨]. والقرينة اللفظيّة التي تدلّ على المحذوف هي فعل «خلق» في الجملة السابقة.

﴿ما خَلْقُكُمْ وَ لا بَعْثُكُمْ إلا كنفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سمِيعُ بَصِيرٌ﴾ (٢٨)

قال النسفي إنّ المحذوف في قوله تعالى اسم مضاف وجملة المعطوف. أي: ما خَلَقَكم ولا بَعثُكُم إلاّ كخلق نفس واحدةٍ وبعث نفس واحدة، فحذف للعلم به أي سواء في قدرته القليل والكثير فلا يشغله شأن عن شأن[٢٩]. وأيضاً أشار الزمخشري في التفسير الكشاف والآلوسي في تفسير روح المعاني إلى ذلك كما بين النسفي[٣٠].

والتقدير على حسب قول ابن عاشور: «إلا كخلق وبعث نفس واحدة»[٣١]. إذا كان تقدير الكلام بهذا الشكل أي «إلا كخلق نفس واحدة وبعثها»، يعني المضاف إليه والصفة مذكوران في المعطوف عليه ويُعطف عليه (أي على المعطوف عليه) اسم مضاف إلى ضمير يعود إلى المضاف إليه في المعطوف عليه، أصح من تقدير ابن عاشور والنسفي والزمخشري والآلوسي. لأنّه يُذكر في كلام العرب ابتداءاً اسم ويأتي مرة ثانية بالضمير العائد إليه. دلّت على المحذوف قرينة لفظيّة وهي «الخلق والبعث» في أوّل الآية.

يشارك المخاطب في حصول المحذوف وبعد الوصول إليه، يُثبت تصوير في ذهنه ولا ينسى المحذوف، حتّى إنَّ الجرجاني في دلائل الإعجاز يشبّه الحذف بالسحر حيث يقول:« مأخذُه من مأخذ السحر ... وقد ترى تركَ الذكرِ أفصحَ من الذكرِ والامتناعَ مِن أن يبرزَ اللفظُ من الضّمير أحسن للتّصوير»[٣٢]. نرى الجرجاني وهو يجعل الحذف أساساً للفهم لأنّه يصوّر تصويراً في ذهن المخاطب بسبب مساهمته في الحصول إلى المحذوف.

٢. الإطناب

عرف السكاكي(ت ٦٢٦ هـ) الإطناب بقوله: «أنّه أداء المقصود من الكلام بأكثر من عباراته سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل، أو إلى غير الجمل»[٣٣]. الإطناب جزء من علم

المعاني وهو غير ملحق بالتطويل وهما شيئان مختلفان. الإطناب يأتي لفائدة مبالغة في المعنى على خلاف التطويل.

وهذا التناوب بين الإيجاز والإطناب يدلّ على مطابقة كلام الله لمقتضى الحال وهذا يعني إعجاز القرآن. من أنواع الإطناب الوارد في هذه السورة هي الاعتراض والتتميم.

قال ابن الأثير في تعريفه حول الاعتراض: «هو كل كلام أدخل فيه لفظ أو مركب لو سقط لبقي الأوّل على حاله»[٣٤]. وبين التفتازاني التتميم بقوله: «هو أن يُوتى في كلامٍ لايُوهم خلاف المقصود بفضلةٍ لنكتةٍ»[٣٥]. نذكر الآيتين اللتين وردت فيهما موارد الإطناب:

﴿ووصّينا الإنسانَ بوالديه حَمَلَته أمّه وهناً على وهن وفصالُه في عامين أن أشكر لي ولوالديك إليَّ المصير﴾ (١٤)

وقعت جملتان «حَمَلَته أمّه وهناً على وهن» و«فصالُه في عامين» معترضة بين المفسَّر والمفسِّر. «أن» في قوله « أن أشكر لي ولوالديك» تفسيريّة وأصبحت تفسيراً لفعل «وصّينا». جملة «ووصّينا الإنسانَ بوالديه» تكون مفسَّرة، وجملة «أن أشكر لي ولوالديك»، هي جملة مفسِّرة[٣٦].

أراد الله سبحانه وتعالى من هذا الاعتراض، أن يحثّ الإنسان على شكر والدَيه لأنّهما ربّاه وتحمّلا المشقّة في تربيته وتنشئه، لذلك يجدر به أن يستعظمهما، وخاصّة يستتبع البرّ بأمّه لأنّها حملته ضعف بعد ضعف وشدّة بعد شدّة وفطمته بعد انقضاء عامين ولقيت عناءاً شديداً طول حياته.

﴿يا بنيَّ إنّها إن تك مثقالَ حبّةٍ من خردل فتكن في صخرةٍ أو في السموات أو في الأرض يأتِ بها الله إنّ الله لطيفٌ خبير ﴾. (١٦)

جملة «فتكن في صخرةٍ أو في السموات أو في الأرض»، تتميم بين الشرط «إن تك مثقالَ حَبَّةٍ من خردل» والجواب «يأتِ بها اللهُ» وجاءت في الكلام حسناً. إذ لو حُذفت هذه الجملة التي وقعت في الكلام فضلة، لكان الكلام مبتذلاً لا رقة فيه ولا طلاوة.

الهدف من التتميم بين الشرط والجواب هو التّهويل بأنَّ الإنسان يجدر به أن يعمل ما يرافقه في الدّنيا والآخرةِ، ولا يفعل عملاً لا يصله إلى رضوان الله ولو كانَ زرّةً قَليلةً لأنَّ الله سبحانه وتعالى يعلمه أينما فَعلَه، ويجازيه بسبب إنجاز ذلك الفعل في يوم الحساب.

٣. القصر

حدّد لنا السكاكي القصر بقوله: «وهو تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان»[٣٧]. إنّ الاختصاص يستعمل بالتقديم، ولكن القصر لا يستفاد بمجرد التقديم ويعبّر عنه بطرق أخرى وأشهرها «ما» و«إلا» و«إنّما» فهو زايد على الاختصاص. وأمّا الفرق بين القصر والاختصاص فعبّر السيوطي عن ذلك بقوله: «إنّ الحصر نفي غير المذكور وإثبات المذكور. والاختصاص، هو الذي قصد إفادته السامع من غير تعرض ولا قصد بغيره بإثبات ولانفي. ففي الحصر معنى زائد عليه، وهو نفي ما عدا المذكور»[٣٨]. مثلاً آية ﴿إياك نعبد﴾[٣٩] التقديم هنا للعلم بأنّ قائليه لا يعبدون غير الله تعالى. نرى في هذه الآية إثبات المذكور ونفي غير المذكور على سبيل القصر. ومن ثمّ نأتي بمثالين آخرين بأنّ التقديم يدلّ على الاختصاص دون القصر. آية ﴿أفغير دين الله يبغون﴾[٤٠] المنكر مجرّد بغيهم غير دين الله على سبيل الاختصاص دون حصر. وأيضاً آية ﴿آلهةً غير الله تدعون﴾[٤١] المنكر إرادتهم آلهة دون الله من غير حصر[٤٢].

وأمّا ارتباط التقديم والاختصاص فيمكننا القول بأنّ الاختصاص يُوظَّف بالتقديم ولكن ليس كلّ تقديم للاختصاص. يرد التقديم لأغراض عدة منها:

١. التعجب: مثل آية ﴿وإذا قيل لهم لا تُفسِدوا في الأرض قالوا إنَّما نَحن مُصلِحون﴾[٤٣]. تقدّم الجار والمجرور «في الأرض» على جملة «قالوا» لأنّه أهم، إذ هو في محل التعجب من حالهم. فالمنافقون الذين وجه إليهم الخطاب برؤوا أنفسهم من الفساد وقالوا ما نحن إلا مصلحون، وذلك لفرط غرورهم. وهذا شأن كلّ مفسد يزعم فساده صلاحاً[٤٤].

٢. تقويت الحكم: كقوله تعالى ﴿الله يَستهزئ بهم ويَمُدُّهم في طُغيانِهم يَعمَهون﴾[٤٥]

لفظ الجلالة «الله» مبتدأ و«يستهزئ» جملة فعليّة خبر، قدم المسندإليه على المسند الفعلي لإفادة تقوية الحكم[٤٦].

٣. مراعاة الترتيب الوجوديّ: كقوله تبارك وتعالى: ﴿لَا تَأخُذُهُ سِنَةٌ وَ لَا نومٌ﴾[٤٧]

قُدّمت السنة على النوم، لأنّ العادة في البشر أن تأخذه السنة قبل النوم، فجاءت العبارة على حسب العادة[٤٨].

٤. القصر: مثل آية ﴿لله ملك السموات والأرض﴾[٤٩]

تقديم «لله» على «ملك» يفيد القصر بأنّ هذا الملك له ولا يتجاوز إلى غيره. وفيه إثبات المذكور ونفي غير المذكور.

٥. الاختصاص: جاء على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وللكافرين عذابٌ مهين﴾[٥٠]

«الواو» هنا استئنافيّة و«للكافرين» جار ومجرور متعلقان بخبر محذوف و«عذاب» مبتدأ مؤخّر. تقديم «للكافرين» على «عذاب» يفيد الاختصاص لأنّ المراد إفادة السامع بأنّ الكافرينَ لهم عذاب مهين، من غير تعرض ولا قصد بغيره بإثبات ولانفي.

الأوّل) قصر الموصوف على الصفة

﴿ ووصّينا الإنسانَ بوالديه حَمَلَته أمّه وهناً على وهنٍ وفصالُه في عامين أن أشكر لي ولوالديك إليَّ المصير﴾ (١٤)

يدلّ التقديم في جملة «إليَّ المصير» على أنّ المصير يختم بالله ولا أحد آخر[٥١].

﴿ ومن يُسلم وجهه إلى الله وهومحسنٌ فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور ﴾ (٢٢). المراد من تقديم «إلى الله» قصر على أنَّ عاقبة الأمور إلى الله ولاغير[٥٢].

﴿ لله ما في السماوات وما في الأرض إنَّ اللهَ هو الغنيُّ الحميد﴾ (٢٦)

الهدف من تقديم «لله» في قوله «لله ما في السماواتِ وما في الأرض» حصر على أنَّ ما في السموات والأرض مخصوص بالله تعالى ولا غير وهو خَلقُه ومِلكُه. وفي جملة «إنَّ الله هو الغنيُّ الحميد» كلمة «هو» للقصر أي هو الغنيُّ وحده وليس معه غنيٌّ آخر وكلُّ شيءٍ فقير إليه، وهذه الصفة لا تنبغي إلا له[٥٣].

﴿ذلك بأنَّ اللهَ هو الحقُّ وأنَّ ما يَدعونَ من دونِه الباطلُ وأنَّ اللهَ هو العليُّ الكبير﴾ (٣٠)

كلمة «هو» في قوله «أنَّ اللهَ هو الحقّ» و«أنَّ اللهَ هو العليُّ الكبير»، للحصر أي هو الحق وهو العلي الذي لا أعلى منه، والكبير الذي هو أكبر من كلّ شيء، وكلّ شيء خاضع حقير بالنسبة إليه[٥٤].

إذا دقّقنا النظر في القصر المستعمل من هذا النوع نرى أنّه يتناسب مع الغرض الذي تتبعه هذه السورة وهو توحيد الله وهذا، يعنى إعجاز القرآن الذي نشاهده في ترتيب الجملات لإلقاء المعنى الذى يهتمّ به القائل.

الثاني) قصر الصفة على الموصوف

﴿ وإذا غَشيهم موجٌ كالظلل دعوا اللهَ مخلصينَ له الدِّين فلمّا نجّاهم إلى البرّ فَمِنهم مقتصدٌ وما يجحد بآياتنا إلاّ كلُّ ختّارٍ كفور﴾ (٣٢)

في جملة «وما يجحد بآياتنا إلاّ كلُّ ختّارٍ كفور» قصر الصفة على الموصوف[٥٥]. لأنّ الصفة (يجحد) وهو فعل وقع بعد النفي وقبل الاستثناء، وبعد الاستثناء اسم وهو موصوف.أي وما يكفر بأدلتنا وحُججنا إلا كلّ غدّار بعهده.

﴿ إنَّ اللهَ عنده علمُ الساعة ويُنزّل الغيثَ ويَعلمُ ما في الأرحامِ وما تَدري نفسٌ ماذا تكسبُ غداً وما تَدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموتُ إنَّ اللهَ عليمٌ خبير﴾ (٣٤)

في جملة «إنَّ اللهَ عنده علمُ الساعة» كلمة «عنده» فيها إشارة إلى اختصاصه تعالى بذلك العلم بأنَّ العلمَ بيوم القيامة مخصوصٌ بالله تعالى ولا غير، لأنّ العنديّة شأنها الاستئثار، وتقديم «عند» وهو ظرف مسند على المسندإليه وهو «علمُ» يفيد القصر بالقرينة الدالّة على أنّه ليس مراد به مجرد التقوّى[٥٦]. قال النسفي المراد من «علم الساعة» هو وقت قيامها و«ينزّل» هو عطف على ما يقتضيه الظرف من الفعل، والتقدير «إنّ اللهَ يثبت علم الساعة وينزّل...»[٥٧]. عند التعبير عن ذلك بطريق القصر تصبح الجملة بهذا الشكل: «ما يثبت علم الساعة إلا الله» ويكون قصر الصفة على الموصوف.

٤. الوصل والفصل

قال السكاكي في مواضع الوصل والفصل: «إنّها لمحك البلاغة ومنتقد البصيرة ومضمار الأنظار ومعيار قدر الفهم ومسبار غور الخاطر ومنجم صوابه وخطئه ومعجم جلائه وصدائه، وهي التي إذا طبقتَ فيها بالتفصيل، شهدوا لك من البلاغة بالقدح المعلى وإن لك في إبداع وشيها اليد الطولى، وهذا فصل له فضل احتياج على تقرير واف وتحرير شاف»[٥٨]. يبدو من كلام السكاكي إنّه يهتمّ بهذا القسم من علم المعاني اهتماماً تاماً. نرى مواضعَ الوصل كثيراً في هذه السورة لما بين الجمل من التطبيق في الإسمية والفعلية والإنشاء والخبر، لذلك نكتفي هنا بذكر مواضع الفصل لكي نبينَ إعجاز السورة في هذا القسم. استعمل كمال الاتّصال وشبه كمال الاتّصال من بين مواضع الفصل في هذه السورة. حدّد لنا أحمد الهاشمي كمال الاتّصال بقوله: «هو اتّحاد الجملتين اتّحاداً تاماً وامتزاجاً معنويّاً بحيث تنزّل الثانيّة من الأولى منزلة نفسها»[٥٩].

وقال في تعريف شبه كمال الاتصال: «هو كون الجملة الثانية قويّة الارتباط بالأولى لوقوعها جواباً عن سؤال يُفهم من الجملة الأولى فتُفصَل عنها كما يُفصل الجواب عن السؤال»[٦٠]. نورد الآيات الّتي ورد فيها هذا القسم من علم المعاني:

الأوّل) كمال الاتّصال

﴿إذا تُتلى عليه آياتُنا ولّى مستكبراً كأن لم يَسمعها كأنَّ في أذنيه وقراً فبشّره بعذابٍ أليم﴾ (٧)

وقد فُصلت جملة «كأنّ في أذنيه وقراً» عن جملة «كأن لم يسمعها»، وذلك أنّ بين الجملتين كمال الاتّصال، فقد جاءت الجملة الثانية مؤكدة تأكيداً معنوياً للجملة الأولى، فهي وثيقة الصلة بها، ومرتبطة بها ارتباطاً قويّاً أذ يتعذر دخول العاطف بينهما المشعر بتغاير هاتين الجملتين، وانفصال كلّ واحدة عن الأخرى. وذلك أنّ المقصود من التشبيه بمن في أذنيه وقر هو المقصود بعينه من التشبيه بالذي لم يسمع الآيات. ومن هنا فُصل بين الجملتين دلالة على هذا المعنى وإشارة إليه[٦١].

﴿ ولقد ءاتينا لقمانَ الحكمةَ أنِ أشكر لله ومَن يَشكر فإنَّما يشكرُ لنفسِه ومَن كَفَر فإنَّ اللهَ غنيٌّ حميد﴾ (١٢)

«أن» في قوله «أن أشكر لله» تفسيريّة وليست تفسيراً لفعل (ءاتينا)، لأنّه نصب مفعوله وهو الحكمة. فتكون «أن» مفسرة للحكمة باعتبار أنّ الحكمة لها معان فيصلح أن تفسّر ب«أن» التفسيريّة. ولذلك فصل بين الجملتين باعتبار أنّ الثاني وهو«أن أشكر لله» مفسِّرة للجملة الأولى وهي «ولقد ءاتينا لقمانَ الحكمة»[٦٢].

قال الآلوسي إنّ «أن» في قوله « أنِ أشكر لله» تفسيريّة وما بعدها تفسير لإيتاء الحكمة. وأيضاً يجوز أن يكون تفسيراً للحكمة باعتبار ما تضمّنه الأمر[٦٣]. جعل الزجاج «أن» مصدريّة بتقدير اللام التعليليّة، أي «ولقد ءاتينا لقمان الحكمة لأن يشكر الله»[٦٤].

أشار الزمخشري إلى أنّ «أن» تفسيريّة لإيتاء الحكمة، لأنّ إيتاء الحكمة في معنى القول، حيث فسّره الزمخشرى بالبعث على الشكر[٦٥]. وإذا كان كذلك يكون المعنى: ولقد ءاتينا لقمان الحكمة لأن يشكر الله ويكون «أن» مصدريّة لأنّ إيتاء الحكمة سبب للحث على الشكر. لم نقبل آراء المفسرين بأنّ «أن» تفسيريّة للسببين التاليين:

١. لو اعتبرنا «أن» تفسيريّة لوجب علينا حصر حكمة لقمان بالشكر فقط، وهو خلاف الواقع لأنّ الشكر جزء من الحكمة وليس كلّ الحكمة.

٢. لقمان كان حكيماً وقد حكى القرآن وعظه لابنه، فهل كانت موعظته أو حكمته مقصورة على الشكر فقط؟ كلا.

نرى رأي الزجاج هو الصحيح لأنّ الآية توضيح لعلة الشكر وليس تفسيراً للحكمة، أي طلبنا منه الشكر لأنّنا آتيناه الحكمة. ويمكن القول إنّ «أن» تساوي «حتى» في المعنى وعدل عنها بسبب فعل الأمر.

﴿ووصّينا الإنسانَ بوالديه حَمَلَته أمّه وهناً على وهنٍ وفصالُه في عامين أن أشكر لي ولوالديك إليَّ المصير﴾ (١٤)

«أن» في قوله «أن أشكر لي ولوالديك» تفسيريّة وهي مفسرة لفعل (وصّينا) لأنّ هذا الفعل يدلّ على معان كثيرة، ففسّره «أن» أي وصّينا الإنسان بشكرنا وبشكر والديه. لذلك فصل بين الجملتين باعتبار أنّ الثاني وهو «أن أشكر لي ولوالديك» مفسِّرة للجملة الأولى وهي « ووصّينا الإنسانَ بوالديه»[٦٦]. وأشار النسفي إلى أنّ (أن) تفسيريّة لوصّينا[٦٧].

وأيضاً أصبحت «أن» تفسيريّة لوصينا على حسب قول الزمخشري[٦٨]. وأيضاً اختاره النحاس تفسيريّة لوصينا[٦٩].

جوز أن تكون «أن» مصدريّة بتقدير لام التعليل قبلها وهي متعلقة بوصينا على أن يكون المصدر بدلاً من والديه بدل الاشتمال وعليه كأنّه قيل وصينا الإنسان بوالديه بشكرهما وذكر شكر

الله تعالى، لأنّ صحة شكرهما تتوقف على شكره عزّوجل[٧٠]. ولو اعتبرنا «أن» تفسيراً لوصّينا لكان الأمر كمَن يقول لآخر: أوصيك بأخيك، اشكرني وأخاك. وصينا الإنسان (أوصيك) بوالديه (بأخيك)، أن (أي) اشكر لي (اشكرني) ولوالديك (وأخاك). فإذا قلنا إنّ الآية قد أوصت الإنسان بوالديه أن يشكرهما، فهل أوصته بشكر الله؟ والجواب لا.

لا نسلم بأن تكون «أن» تفسيراً للتوصية. قد تكون تفسيراً لكلام محذوف يفسره المذكور لأنّ الإيجاز المعتبر (ليس مجرد حذف إيجازاً) هو من أساليب القرآن العظيم. شكر الله والوالدين ليس تفسيراً للتوصية ولكنه لكلّ ما تقدم «أن» التفسيريّة، حيث أراد الباري التأكيد على أنّ الشكر لله لأنّه الخالق وللوالدين لما تحملاه في التنشئة والتربية. ويمكن القول إنّ «أن» بمعنى «حتّى» وعدل عنها بسبب فعل الأمر، وقد يكون في الكلام حذف.

الثاني) شبه كمال الاتّصال

﴿ وإذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنيَّ لا تشرك بالله إنَّ الشرك لظلمٌ عظيم ﴾ (١٣)

في جملة «إنَّ الشرك لظلمٌ عظيم». شبه كمال الاتّصال، لأنّها جواب لسؤالٍ مقدّر من الجملة السابقة، وهذا السؤال هو (لماذا لا أشرك بالله؟).

﴿يا بُنيَّ أقم الصلاةَ وأمُر بالمعروفِ وانه عن المنكرِ واصبِر ما أصابَك إنَّ ذلك من عزمِ الأمور ﴾ (١٧)

في قوله «إنَّ ذلك من عزم الأمور» شبه كمال الاتّصال لأنها جوابٌ لسؤال مقدّر من الجملة السابقة، وهذا السؤال هو (لماذا أصبر على ما أصابني؟).

﴿ ولا تصعّر خدَّك للناس ولا تمشِ في الأرض مرحاً إنَّ الله لا يُحبُّ كلَّ مختالٍ فخور ﴾ (١٨)

في جملة «إنَّ الله لا يُحبُّ كلَّ مختال فخور» شبه كمال الاتّصال لأنّها جواب لسؤالٍ مقدّر من الجملة السابقة. وهذا السؤال هو (لماذا لا أمشي في الأرض مرحاً ؟).

﴿ يا أيُها الناسُ اتّقوا ربَّكم واخشوا يوماً لا يجزِي والدٌ عن ولده ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئاً إنَّ وعدَ اللهِ حقٌّ فلا تغرَّنّكم الحياةُ الدّنيا ولا يغُرنّكم بالله الغرورُ ﴾ (٣٣)

في قوله «إنَّ وعدَ الله حقٌّ» شبه كمال الاتّصال لأنّها جواب لسؤالٍ مقدّرٍ من الجملة السابقة. وهذا السؤال هو (هل ذلك الوعد حقّ ويتحقق؟)

يتجلى إعجاز القرآن في هذا القسم أحسن تجليّة، يرى المتفحصُ في القصّة التي وقعت بين لقمان وابنه، النظمَ في استعمال الجمل التي تقع جواباً لسؤال يُفهم من الجملة السابقة وهذا يعني إعجاز القرآن الكريم ولا يمكن لأيّ بشرٍ أن يأتي مثلَه.

المبحث الثاني: المستوى البياني و البدىعي واعجازه البلاغي في سورة لقمان

١. التشبيه:

قال التفتازاني في تعريف التشبيه: «هو الدلالةُ على مشاركة أمرٍ لأمرٍ في معنى»[٧١]. وعبّر جابر عصفور عن جمال التشبيه بقوله: «التشبيه نوع من أساليب البيانِ ولهَ روعة وجمال وموقع

حسن في البلاغة، يُستعمل هذا النوع لغرض يقصده المتكلم. يعد التشبيه من أبرز عناصر الصورة، وأكثر أساليب البيان شيوعاً في الشعر العربي، فبه يزداد المعنى وضوحاً وتأكيداً»[٧٢].

وواصل عصفور كلامه عن التشبيه مبيناً أهميّته: «وهو أكثر الأنواع البلاغية أهميّةً بالنسبة للناقد والبلاغي القديم، والحديث عنها بمثابة مقدمة ضروريّة لا يمكن تأمّل الاستعارة والمجاز دونها»[٧٣]. يبدو أنّ التشبيه له مكانة عالية في البلاغة، والناقدون يجعلونه معياراً أساسيّاً في نقدهم النصوص الأدبيّة. استعمل التشبيه البليغ وتشبيه التمثيل من بين أقسام التشبيه في هذه السورة المباركة. قال الهاشمي في التشبيه البليغ: «وهو ما حذفت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه»[٧٤]. وأيضاً عرف تشبيه التمثيل بكلامه: «وهو ما كان وجه الشبه فيه وصفاً منتزعاً من متعدّد»[٧٥]. ورد التشبيه في الآيتين التاليتين هي:

﴿ إذا تُتلى عليه آياتُنا ولّى مستكبراً كأن لم يَسمعها كأنَّ في أذنيه وقراً فبشّره بعذاب أليم ﴾ (٧)

وقد جاء التشبيه في قوله «كأن لم يسمعها» لينجلي موقفه من الآيات أتم تجلية، ويتضح حالته تجاه القرآن الكريم. فكأنّ هذا الرجل المعرض عن الآيات المستكبر عنها لم يسمع أصلاً هذه الآيات، فقد شُبه هذا الرجل الذي هذه حالته وهذا موقفه من القرآن، بالذي لا يسمع الآيات. فحالته بعد سماع الآيات كحالته تماماً قبل سماعها وتلاوتها عليه. وذلك لعدم تأثّره بهذه الآيات والانتفاع بها. فسماع هذه الآيات دون قبول حكمها، والعمل بما جاء فيها في حكم العدم. جاء التشبيه هنا على وجه التمثيل[٧٦].

ولمزيد من إيضاح موقف هذا الرجل المعرض عن هذه الآيات والكشف عن حقيقته وذكر حاله، ذكرَ الله تعالى تشبيهاً آخر لهذا الرجل المعرض عن الآيات، والمستكبر عنها. جاء التشبيه مرة ثانية في قوله «كأنّ في أذنيه وقراً»، فقد شُبه أيضاً هذا الرجل، بمَن في أذنيه وقر، وهو الثقل والصمم، وهذه الحالة مانعة من السماع. ومن كانت هذه حالته فأنّى له أن يلفت إلى هذه الآيات أو يصغي إليها، فضلاً أن يقبل عليها أو أن يتأثّر بها، أو أن ينتفع بما جاء فيها[٧٧].

المتأمّل في هذين التشبيهين ليلحظ الترقي في وصف هذا الرجل المعرض المستكبر عن آيات الله، فقد اقتصر في الجملة الأولى على تشبيهه بحال من لا يسمع الآيات، ثمّ جاءت الجملة الثانية بتشبيه هذا المعرض بحال من فَقَد السمع كلية، وذلك لوجود الوقر في أذنيه، فالجملة الأولى بيّنت أنَّ سمعه سليم إلا أنّه لا يسمع الآيات ولا يصغي لها إعراضاً عنها وتكبراً، وهذا بخلاف الجملة الثانية التي بيّنت أنّ هذا المعرض، فاقد السمع لا يتمكن منه، ولا يستطيعه ولا يخفى أنّ هذا أبلغ في الذمّ والتقبيح. وذلك أنّ فيها إثبات هذه الصفة له إلى الأبد، ونعته بها، فسيظلّ دائماً وأبداً معرضاً مستكبراً عن هذه الآيات. وذلك أنّه صار لا يسمع وحلّ الوقر في أذنيه وأتى لفاقد السمع أن يسمع ويصغي. ويدلّ على هذا المعنى ويشير إليه مجيء (كأن) في التشبيه الأوّل مخففة، بخلاف التشبيه الثاني، فقد جاءت مشددة ثقيلة، فكأنّ في هذا التشديد والثقل إشارة إلى ثقل الوقر في أذنيه، حتى منعته من سماع الآيات والانتفاع بها بخلاف (كأن) في التشبيه الأول. فقد جاءت مخففة وتخفيفها يتلاءم مع وجود السمع، فهو وإن كان معرضاً عن الآيات إلا أنَّ سمعه باق لم يفقد[٧٨].

إذا أمعنا النظر في التشبيهين الّذين وقعا في الآية المباركة نلاحظ أنّهما يتناسبا مع الغرض الذي جاء في بلاغة التشبيه على حسب ما قال ابن الأثير. يقول هذا العالم: «إنَّ بلاغة التشبيه إمّا أن يكون للمبالغة والتؤكيد وإمّا للمدح والذم والإيضاح ولا يخرج عن هذه المعاني الثلاثة»[٧٩].

التشبيهان الّذان وردا في الآية جاءا لذمّ من لا يهتم بالآية القرآنية ومعانيها، أي يعرض عن ما يقول الله تبارك وتعالى من الأمر بالخير والنهي عن المنكر.

﴿ ومن يُسلم وجهه إلى الله وهو محسنٌ فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور ﴾. (٢٢)

من استمسك بالإسلام من جميع جوانبه وأسلم وجهه لله تعالى وقصده إلى ربّه أي أخلص له العمل وانقاد لأمره واتبع شرعه باتباع ما به أمِر وهو محسن في أقواله ومتقن لأعماله، فقد شُبه هذا الشخص الذي هذه حالته وهذا موقفه من الإسلام بمن استمسك بالعروة الوثقى وتعلّق بأوثق حبال النجاة، أي تمسك بالإيمان والإسلام والقرآن. جاء التشبيه هنا على وجه التمثيل[٨٠].

يتناسب التشبيه التمثيل مع الغرض الذي جاء فيه وهو التأكيد وتحريك النفوس على الهدف الذي أراد الله أن يحثّ عليه وهو اللجوء إلى الباري الحكيم، يعني أنَّ الله تبارك وتعالى يؤكّد بأنَّ من قامَ بعملٍ صالح طول حياته وتجلّد أمام نواميس الدهر وما جزع وانتظر في هدوء واطمئنان، كمَن استمسكَ بالعروة الوثقى. نرى هنا أنَّ التمسك بحبل الله والظفر متلازمان منذ القدم، وعلاقةٌ مترابطة ومتلاصقة بينهما. إنّ التمسك هو رمز التقدّم في الحياة ويبدّلُ العسرَ باليُسرِ وفي إثره يأتي الظفر والنجاح.

٢. الاستعارة

عرّف أحمد الهاشمي الاستعارة بقوله: «وهي استعمال اللفظ في غير ما وُضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي. والاستعارة ليست إلا تشبيهاً مختصراً لكنّها أبلغُ منه كقولك: (رأيتُ أسداً في المدرسة)، فأصل هذه الاستعارة (رأيتُ رجلاً شجاعاً كالأسد في المدرسة) فحذفتَ المشبه (لفظ رجل) والأداة (الكاف) ووجه الشبه (الشجاعة) وألحقتَه بقرينة (المدرسة) لتدلَّ على أنّك تريد بالأسد شجاعاً»[٨١]. وأيضاً حدّد لنا أبوهلال العسكري الاستعارة «وهي نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره»[٨٢]. أنواع الاستعارة المستعملة في هذه السورة هي الاستعارة التبعية وقال في تعريفها التفتازاني: «إن لم يكن اللفظ المستعار اسم جنس، ويكون الفعل وما اشتق منه مثل اسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة، والحرف»[٨٣]. والاستعارة التمثيلية، وعرفها الهاشمي بقوله: «وهي تركيبٌ استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الوضعي بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة من متعدد وذلك بأن تشبه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بأخرى ثمّ تدخل المشبه في الصورة المشبه بها مبالغة في التشبيه ويسمّى بالاستعارة التمثيليّة»[٨٤]. والاستعارة المكنيّة وهي أن يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه أو المستعار له ورمز له بشيء من لوازمه[٨٥]. والاستعارة المصرحة وهي أن يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به أو المستعار منه[٨٦].

مستعار منه: وهو المشبه به، ومستعار له: وهو المشبه.

الآيات الّتي وردت فيها الاستعارةُ هي:

﴿ومن الناس من يشتري لهوَ الحديثِ ليُضلَّ عن سبيل الله بغير علم ويتَّخذها هُزُواً أولئك لهم عذابٌ مُهين﴾ (٦)

يكون «الاشتراء» استعارة تبعية لاختياره على القرآن واستبداله به ويكون على هذا «لهو الحديث» كما قال الضحاك بمعنى الشرك، وقيل السحر، وقال ابن جرير وابن أبي حاتم بمعنى الغناء، وعلى جميع ذلك يكون الاشتراء استعارة تبعيّة[٨٧].

قال البيهقي عن مجاهد إنّ معنى «لهو الحديث» هو المغني والمغنية وعلى ذلك يكون الاشتراء حقيقة ويكون الكلام على حذف مضاف، أي «من يشتري ذات لهو الحديث»[٨٨].

قال الخفاجي لا حاجة إلى تقدير «ذات» لأنّه لما اشتريت المغنية لغنائها، فكأنّ المشتري هو الغناء نفسه[٨٩]. وأيضاً يعتقد الزمخشري إنّ قوله «يشتري» إمّا من الشراء أي شراء القيان فيكون حقيقة. وإمّا من قوله: اشتروا الكفر بالإيمان أي استبدلوه منه فعلى ذلك يكون على سبيل الاستعارة التبعيّة[٩٠].

نعتقد هنا أنَّ الله تبارك وتعالى أراد من هذه الآية أن يبيّن لنا أنَّ استبدال الشرك وكلّ ما يمنع من الوصول إلى رضوان الله، مكانَ القرآن، هو خُسرانٌ مبين وصاحبه يقع في عذاب مهين. لذلك الأفضل أن نتّخذ «يشتري» الاستعارة التبعيّة للوصول إلى المعنى المراد.

اللهمّ إلا أن نعتبر فعل «يشتري» حقيقة وقوله «لهو الحديث» استعارة مكنيّة. شبهنا «لهو الحديث» بالقميصة مثلاً ثمّ حذفنا المشبه به وأوردنا من لوازمه وهو «الشراء» على سبيل الاستعارة المكنيّة.

﴿ إذا تُتلى عليه آياتُنا ولّى مستكبراً كأن لم يَسمعها كأنَّ في أذنيه وقراً فبشّره بعذاب أليم ﴾ (٧)

البشارة لا تكون إلا بالخير ولكن فيها تهكم بمن يعرض عن سبيل الله ويضلّ الناس ويكون سبباً في غوايتهم حيث نزل التضاد بين التبشير والإنذار منزلة التناسب بينهما تحقيقاً في التبشير وتنزيلاً في الإنذار، ثمّ استعير التبشير للإنذار واشتقّ منه _ بشّر _ بمعنى أنذر على سبيل الاستعارة التصريحيّة التبعيّة التهكميّة، والقرينة المانعة هي العذاب، لأنّ التبشير بمعناه الحقيقي هو الإخبار بما يسرّ ولا يتعدّى إلى العذاب. فدلّ ذلك على أنّ المراد بفعل «بشّر» معنى يناسب العذاب، وهو الإنذار أي الإخبار بما يسوء[٩١].

﴿ واقصد في مشيك واغضُض من صوتك إنَّ أنكر الأصوات لصوتُ الحمير ﴾. (١٩)

إنّ أقبح الأصوات لَصوت الحمير، أي غاية من رفع صوته أنّه يُشبه بالحمير في عُلوه ورفعه ومع هذا هو بغيض إلى الله. شبه الرافعون أصواتهم بالحمير وهم مثل في الذمّ. مثلت أصواتهم بالنهاق الذي أوله زفير وآخره شهيق ثمّ أخلى الكلام من لفظ التشبيه وأخرج مخرج الاستعارة التمثيليّة[٩٢].

﴿ ومن يُسلم وجهه إلى الله وهو محسنٌ فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور ﴾. (٢٢)

إنّ الاستعارة هنا مفردة مصرحة وهي «العروة الوثقى» بأن يشبه المتوكل النافع المحمود عاقبته بها فتستعار لها[٩٣].

﴿ نُمتّعهم قليلاً ثمَّ نضطَرّهم إلى عذابٍ غليظ ﴾ (٢٤)

الغليظ من صفات الأجسام وهو القوى الخشن، وأطلق على السميك على وجه الاستعارة التبعية.

قال الزمخشري إنّ الغلظ مستعار من الأجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل[٩٤]. وأيضاً أشار السعدي إنّ الغليظ أطلق على الألم والشدة[٩٥]. وأيضاً يعتقد الآلوسي إنّ الغليظ استعير للشدّة[٩٦].

ألا تعني كلمة غليظ أنه غير رقيق، أي سميك، وكلمة شديد هي من المصاديق وليست هي المعنية لوحدها، بل هناك معان أخرى مقصودة. إذ إنّ السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو أنّ الباري الحكيم فإذا كان يعني كلمة شديد فلماذا لم يستخدمها وعدل عنها إلى كلمة غليظ؟ الجواب هو أنّ في كلمة غليظ معاني ليست في كلمة شديد. ويتناسب هذا مع فائدة الاستعارة بأنّها وسيلة إلى توسيع المعنى وتكثيره[٩٧].

٣. الكناية

حدد الهاشمي الكناية بقوله: «الكناية في لغة ما يتكلم به الإنسان ويريد به غيره. وفي الاصطلاح لفظ أُطلق وأريد به لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي»[٩٨]. وعرف الجاحظ الكناية بأنّها «ترك التصريح بالشيء»[٩٩]. يقول عبد القاهر الجرجاني: «إنّ المراد من الكناية هنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به دليلاً عليه»[١٠٠]. وردت الكناية في الآيات التالية:

﴿ ومن الناس من يشتري لهوَ الحديثِ لِيُضلَّ عن سبيل الله بغير علم ويتَّخذها هُزُواً أولئك لهم عذابٌ مهين ﴾ (٦)

يعتقد ابن عاشور إنّ «الاشتراء» مستعمل في كنايته، وهو كناية عن العناية بالشيء والاغتباط به، أي من الناس من يشغله لهو الحديث والولع به عن الاهتداء بآيات الكتاب الحكيم وليست الاستعارة هنا[١٠١]. ووضحنا في قسم الاستعارة إنّ الاشتراء يمكن أن نطلق عليه الاستعارة التبعيّة على حسب أن يكون معنى «لهو الحديث» الشرك والسحر. ويمكن أن نستعمله في معناه الحقيقي إذا استعمل قوله «لهو الحديث» بمعنى المغني والمغنيّة.

اعتقد إنّ قول ابن عاشور فيه نوع من الحرج. توجد الكناية في جملة «من يشتري لهوَ الحديث»، وهذه الجملة كناية عن العناية بالشيء والاغتباط به. ولا يمكن لنا أن نطلق الكناية على لفظ «الاشتراء». لأنّ لفظ الاشتراء إما استعمل في المعنى الحقيقي، وإما في المعنى المجازي، وإذا كان مستعملاً في معناه المجازي، نطلق عليه الاستعارة التبعيّة دون الكناية.

﴿ يا بُنيَّ إنّها إن تَك مثقالَ حبّةٍ من خَردلٍ فتكن في صخرةٍ أو في السموات أو في الأرضِ يأتِ بها اللهُ إنّ اللهَ لطيفٌ خبير ﴾. (١٦)

كلُّ الآية كنايةٌ عن قدرة الله تعالى التامّة المطلقة الّتي تخترع الأشياء دون استعانة بأيٍّ شيء، وعن علمه الّذي لا يعزب عنه ظاهر ولا باطن وغائب أوحاضر، ودقيق وجليل[١٠٢].

وأيضاً قوله «مِثقالَ حبّةٍ مِن خَردل»، كناية عن الفعلة الصغيرة[١٠٣]. وقوله «في صخرةٍ أو في السمواتِ أو في الأرض» كناية عن السرّ والخفاء[١٠٤].

﴿ ولا تصعّر خدَّك للناسِ ولا تمشِ في الأرض مرحاً إنَّ الله لا يُحبُّ كلَّ مختالٍ فخور ﴾ (١٨)

قوله «لا تصعّر خدّك للناس» كناية عن البشاشة في معاشرة الناس[١٠٥]. وكذلك قوله «ولا تمش في الأرض مرحاً» تمثيل كنائي عن النهي عن التكبّر والتفاخر لا عن خصوص المشي في حال المرح[١٠٦].

﴿ ومَن يُسلم وَجهُه إلى اللهِ وهومُحسنٌ فَقَد استَمسك بالعروةِ الوُثقى وإلى اللهِ عاقبةُ الأمور ﴾. (٢٢)

قوله «ومَن يُسلم وَجهُه إلى اللهِ» كناية عن تسليم الأمور جميعها إلى الله تعالى والإقبال التام عليه عز وجل[١٠٧].

﴿ولَو أنّ ما في الأرضِ مِن شَجرةٍ أقلامُ والبَحرُ يَمدُّه مِن بَعدِه سَبعةُ أبحرٍ ما نفَدت كلماتُ اللهِ إنَّ الله عزيزٌ حكيم﴾ (٢٧)

قوله «سبعة أبحر» كناية عن الكثرة[١٠٨].

﴿ يا أيها الناس اتّقوا ربَّكم واخشوا يوماً لا يجزي والدٌ عن ولده ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئاً إنَّ وعدَ الله حقٌ فلا تغرّنّكم الحياة الدّنيا ولا يغُرنَّكم بالله الغرورُ ﴾ (٣٣)

جملَة «يوماً لا يجزي والدٌ عن ولده ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئاً»كنايةٌ عن يوم القيامة[١٠٩].

إنَّ الكناية أبلغ من التصرىح[١١٠]، لذلک أراد الله تعالى أن ىعطي المعاني بالطرىقة الّتي هي أجلّ طرىقة لفهمها عند النّاس ويبيّن المضامينَ في صورة محسوسة، وملموسة كأنّ المخاطب ىرى الحقيقة بعينه. وأيضاً يهدف الباري تعالى من التصوىر الكنايي، إيصال المعاني في صورة موجزة إلى المخاطبين. هذا ما يمكننا أن نوصل إليه خلال قراءة الآىات في قسم الكناية.

٤. المجاز

قال أحمد الهاشمي في تعريف المجاز: «هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي»[١١١]. ورد المجاز المرسل والمجاز العقلي في هذه السورة، وقال الخطيب القزويني في تعريف المجاز المرسل: «وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وُضع له ملابسةً غير التشبيه»[١١٢]. وجاء في تعريف المجاز العقلي: «وهو إسناد الفعل أو ما في معناه من اسم الفاعل أو اسم المفعول أو مصدر إلى غير ما هو له في الظاهر من حال المتكلم لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هو له»[١١٣]. ورد هذين النوعين من المجاز في الآيتين التاليتين وهي:

﴿ ومَن يُسلم وَجهُه إلى اللهِ وهومُحسنٌ فَقَد استَمسك بالعروةِ الوُثقى وإلى اللهِ عاقبةُ الأمور ﴾. (٢٢)

في قوله «ومَن يُسلم وَجهُه إلى الله» المجاز المرسل بالعلاقة الجزئيّة. ذُكر لفظ الجزء وهو الوجه وأريد الكلّ وهو وجود الإنسان[١١٤]. نشاهد أنَّ استعمال الجزء بدل الكلّ يدلّ على أهميّة هذا الجزء بين سائر الأجزاء.

﴿ يا أيها الناس اتّقوا ربَّكم واخشوا يوماً لا يجزي والدٌ عن ولده ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئاً إنَّ وعدَ الله حقٌ فلا تغرَّنّكم الحياة الدّنيا ولا يغُرنَّكم بالله الغرورُ ﴾ (٣٣)

في قوله «فلا تغرَّنّكم الحياة الدّنيا» المجاز العقلي بالعلاقة السببيّة أي فلا تخدعنكم زينة الحياة الدنيا ولذّاتها بأن تتوهموا الباطل حقاً والضر نفعاً. فإسناد التغرير إلى الحياة الدنيا مجاز

عقلي لأنّ الدنيا ظرف الغرور أو شُبهته، وفاعل التغرير حقيقة هم الذين يُضلّونهم بالأقيسة الباطلة فيشبهون عليهم إبطاء الشيء باستحالته. فذُكرت هنا وسيلة التغرير وشبهته ثم ذكر بعده الفاعل الحقيقي للتغرير وهو الغرور[١١٥].

إذا كان الكلام على خلاف المعهود، يؤدّى ذلك إلى أن يبحث المخاطب في كنه الموضوع ليبيّن ما هو المقصود وما هو المعنى الحقيقي، لذلك نرى أنَّ المجاز أشدّ وأروع تأثيراً في النفس بالنسبة للكلام الذي يكون حقيقة لأنَّ الكلام المشتمل على الخيال يجعل النفس شديدة الأنس به.

المستوى البدىعي في سورة لقمان

يقول عبدالفتاح لاشين في البديع: «وهو علم يُعرف به وجود تحسين الكلام، واهتمّ البلاغيون ببيان فنونه والتعرف على أساليبه، وكانت وجهتهم الأولى والأهم، هي النص القرآني الكريم، والبديع في القرآن الحكيم، ليس حلية تزيين ألفاظه وتراكيبه، ولا عرضاً يستغنى عنه، ولا تابعاً لا قيمة له، بل هو أصل يختلّ المعنى بزواله، ويتأثّر الأسلوب باختلاله»[١١٦]. يبدو ان علم البديع يتمتع بقوة الابداع والخلق ويهتمّ بالمعنى على جانب اللفظ. من أقسام علم البديع في هذه السورة هي الاستطراد، مراعاة النظير، الطباق، العكس، الجمع، واللف والنشر. حدّد لنا الهاشمي الاستطراد بكلامه: «وهو أن يخرج المتكلم من الغرض الذي هو فيه إلى آخر لمناسبة بينهما ثمّ يرجع إلى إتمام الكلام الأوّل»[١١٧]. وقال السكاكي في تعريف مراعاة النظير: «وهي عبارة عن الجمع بين المتشابهات»[١١٨]. وعرّف الخطيب القزويني الطباق بقوله: «وهو الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة»[١١٩]. وحدد التفتازاني العكس بأنّه «أن يُقدّم جزء من الكلام على جزء آخر ثمّ يؤخّر ذلك المتقدم عن الجزء المؤخّر»[١٢٠]. وبيّن السكاكي الجمع بكلامه: «وهو أن تدخل شيئين فصاعداً في نوع واحد»[١٢١]. وقال أحمد الهاشمي في تعريف اللف والنشر: «أن يُذكر متعدد ثمّ يُذكر ما لكلّ من أفراده شائعاً من غير تعيين اعتماداً على تصرّف السامع في تمييز ما لكلّ واحد منها وردّه إلى ما هو له»[١٢٢]. وردت هذه الأقسام في الآيات التالية:

﴿ووصّينا الإنسانَ بوالديه حَمَلَته أمّه وهناً على وهنٍ وفصالُه في عامين أن أشكر لي ولوالديك إليَّ المصير﴾ (١٤).

هذه الآية والّتي بعدها استطراد في سياق وصيّة لقمان لابنه[١٢٣].

﴿ ولا تصعّر خدَّك للناس ولا تمشِ في الأرض مرحاً إنَّ الله لا يُحبُّ كلَّ مختالٍ فخور ﴾ (١٨)

في الآية عند الزمخشري لف ونشر معكوس حيث قال: المختال مقابل للماشي مرحاً وكذلك الفخور للصعر خدّه كبرا وذلك لرعاية الفواصل[١٢٤]. يجوز أن يكون هناك لف ونشر مرتّب. فإنّ الاختيال يناسب التكبر وأيضاً الفخر يناسب المشي بالمرح والغرور. وتزيد هذه الصنعة الكلامَ حسناً ورونقاً وجمالاً.

﴿ لله ما في السموات وما في الأرض إنَّ اللهَ هو الغنيُّ الحميد﴾ (٢٦)

توجد بين «السموات والأرض» صنعةَ الطباق.

﴿ ألم ترَ أنّ اللهَ يُولِجُ الليلَ في النّهارِ ويُولِجُ النّهارَ في الليلِ وسخّرَ الشمسَ والقمرَ كلٌّ يجري إلى أجَلٍ مُسمّى وأنّ اللهَ بما تَعملون خبير ﴾ (٢٩)

في قوله «الليل والنهار» و«الشمس والقمر» مراعاة النظير. وأيضاً بين «الليل والنهار» صنعت الطباق. وفي جملة «سخّر الشمس والقمر» صنعت الجمع. وأيضاً في قوله «يولج الليلَ في النّهار ويولج النّهارَ في الليل» صنعت العكس.

المتفحّص في البديع المستعمل في هذه الآيات يرى أنَّ هذه المحسّنات لا تهتمّ بتزيين اللفظ فقط، وإضافة على ذلك يشاهدها وهي تؤدّى إلى وقوع المعنى في ذهن المخاطب أحسن وقوع، وهي أجلّ طريّقة لذلك الأمر. إذا تَأمّلنا في الطباق المستخدم في الآيات السابقة، نرى أنَّ الله وهو يذكر معنى الطرف الثاني من الطباق بلفظِ الطرف الأوَّل، أي عندما يقول الباري تعالى، مثلاً الليل في القسم الأوّل يفهم المخاطب من هذا اللفظ وسياق الجملة أن يكون القسم الثاني هو النّهار ويسبّب ذلك ثبوت المعنى في ذهنه. وفي قسم اللف والنشر، عندما يقول الرحمن مثلاً: «لا تصعّر خدَّك للناس»، ينتظر المخاطب الشيءَ الذي يناسب الجملة وحينما انتهى إليه يقع في قلبه ويثبت فيه، وهذا الأثر البلاغي الهام والفائدة البنائيّة والأساسيّة للبديع. ونرى في استطراد الكلام في وصيّة لقمان لابنه، تسلسل الجملات بشكل منطقي حيث لا تخرج عن دائرة النظم الّذي أكّده الجرجاني، وهذا يعنى إعجاز القرآن.

الخاتمة

مع دراسة سورة لقمان وصلنا إلى أنّ السور المكيّة تميل إلى اللهجة الخطابيّة، والوقع الشديد، والنبرة الثائرة، وقصر السور والآيات. وتمتاز بكثرة الإيجاز والقصر والكناية والاستعارة:

١.ملئت آيات سور لقمان بالتصوير الحسي والتجسيم، خاصةً حين تتكلم عن يوم القيامة.

٢. قصر الموصوف على الصفة أكثر استعمالاً في هذه السورة بسبب الغرض الذي تتبع هذه السورة وهو توحيد الله. المتفحص في القصر المستعمل من هذا النوع يرى أنّه يدلّ على وحدانية الله تعالى ولاغير.

٣. إنّ سياق السورة وهو سرد قصة بين لقمان وابنه من أهم البواعث لتشكيل مواضع الفصل خاصة شبه كمال الاتصال في هذه السورة. ففي تتبع هذه القصة والحوار بين لقمان وابنه تظهر لنا مثل هذه الجمل التي تقع جواباً لسؤال يُفهم من الجملة الأولى فتفصل عنها. فهذا قمة البلاغة التي لا يمكن للإنسان العادي أن يصل إليها، وهذا الأمر يبيّن لنا إعجاز القرآن.

٤. للاستعارة التبعيّة ميزة بارزة في هذه السورة وهي أكثر استعمالاً فيها.

٥. وُظف المجاز المرسل بالعلاقة الجزئيّة في هذه السورة وهو يناسب مع سياق السورة وهو الحوار بين لقمان وابنه لأنّ مخاطب لقمان هو ابنه حيث يعظه وفي الحقيقة يطلق النصائح على عموم الناس.

٦. تميّزت هذه السورة بالاستطراد وهو تفصيل الكلام في سياق وصية لقمان لابنه وهذا الأمر يطابق الحال ومقتضى الحال ويبيّن لنا إعجاز القرآن والمقصود من هذه السورة وهو معالجة موضوع العقيدة في نفوس المشركين.

٧. من أقسام علم البديع في هذه السورة هي الاستطراد، مراعات النظير، الطباق، العكس، الجمع، واللف والنشر.

هوامش البحث

١ . المدرّس بجامعة الخوارزمي، طهران، إيران. Ashraf.esmail1987@gmail.com
٢ . عضو الهيئة التعلىمىة بجامعة الخوارزمى في قسم اللغة العربية و آدابها dr.abd.hoseini@khu.ac.ir

٣ . عرفه، ١٩٨٥م: ٢٨.
٤ . الحجر: ٩.
٥ . عرفه، ١٩٨٥م: ٢٩٩.
٦ . صالح، لاتا: ٦٥.
٧ . الزمخشري، ١٩٩٨م: ٢٦.
٨ . صالح بن محمد آل أبوبكر الزهراني، أضواء على الإعجاز البلاغي في سورة الفاتحة، مجلة البحوث والدراسات القرانيّة، العدد الرابع، السنة الثانيّة، صص ١١٧ _ ١٨١.
٩ . زهرا سليماني، قرآن رخ نمايى وبالندگي علوم بلاغي، مجلة فدک سبزواران، سال دوم، شماره ٨، صص ٩١ تا ١٠٨.
١٠ . روح الله نصيرى، كاركردها وويژگي هاى صنعت بلاغي تشبيه در قرآن كريم، كاوشي در پژوهش هاى زبان شناختي قرآن كريم، سال دوم، شماره ى اول، بهار وتابستان ١٣٩٢، پياپي ٣، صص ٣٩ تا ٥٣.
١١ . الجرجاني، لاتا: ٣٨٦ و٣٨٧.
١٢ . ضىف، ١١١٩م: ١٦٥ و١٦٦.
١٣ . المصدر نفسه، صص ١٦٦ و١٦٧.
١٤ . ابن عاشور، لا تا: ١٣٧.
١٥ . محمد شلدان،٢٠١٠م: ١٨.
١٦ . المصدر نفسه، صص ٢٠ و٢١.
١٧ . الهاشمي، لاتا: ١٩٧ إلى ١٩٩.
١٨ . ابن أثير، لاتا: ٢٦٤ و٢٦٥.
١٩ . جمي، ٢٠٠٣م: ٥٧ و٥٨.
٢٠ . الزمخشرى، ١٩٩٨: ١٨.
٢١ . المصدر نفسه: ١٨.
٢٢ . الطبرى، ٢٠٠١م: ٥٨٢.
٢٣ . الزمخشري، ١٩٩٨م: ٢٠١.
٢٤ . النسفي، لاتا: ٩٠٧.
٢٥ . الزمخشري، ١٩٩٨م: ١١.
٢٦ . الطبري، ٢٠٠١م: ٥٦٨.
٢٧ . ابن عاشور، لاتا: ١٧٥.
٢٨ . عرفان،١٣٨٥هـ، ج١: ٤٠٣.

٢٩ . النسفي، لاتا: ٩١٠.
٣٠ . الزمخشري، ١٩٩٨م: ٢٢؛ الآلوسي، لاتا: ١٠١.
٣١ . ابن عاشور، لاتا: ١٨٤.
٣٢ . الجرجاني، ١٩٨٨: ١٣٢.
٣٣ . السكاكي، ١٩٨٧م: ٢٧٧.
٣٤ . ابن الأثير، لاتا، ج٣:٤٠.
٣٥ . التفتازاني، ١٤٣٠هـ: ٢٧٢.
٣٦ . الزمخشري، ١٩٩٨م: ١١ و١٢.
٣٧ . السكاكي، ١٩٨٧م: ٢٨٨.
٣٨ . السيوطي، لاتا: ١٥٧ و١٥٨.
٣٩ . الحمد: ٤.
٤٠ . آل عمران: ٨٣.
٤١ . الصافات: ٨٦.
٤٢ . السيوطي، لاتا: ١٥٨.
٤٣ . البقرة: ١١.
٤٤ . داود، ٢٠١٠م: ٢١١.
٤٥ . البقرة: ١٥.
٤٦ . داود، ٢٠١٠م:٢١٦.
٤٧ . البقرة: ٢٥٥.
٤٨ . داود، ٢٠١٠م: ٢٠٨.
٤٩ . ص: ١٠.
٥٠ . البقرة: ٩٠.
٥١ . الطبري، ٢٠٠١: ٥٥١.
٥٢ . ابن عاشور، لاتا: ١٧٧.
٥٣ . ابن كثير، ٢٠٠٤م: ١٤٥٣.
٥٤ . المصدر نفسه: ١٤٥٤.
٥٥ . الطبري، ٢٠٠١م: ٥٨٠.
٥٦ . ابن عاشور، لاتا: ١٩٦ و١٩٧.
٥٧ . النسفي، لاتا: ٩١٢.
٥٨ . السكاكي، ١٩٨٧م: ٢٤٩.
٥٩ . الهاشمي، لاتا: ١٨٣.
٦٠ . المصدر نفسه: ١٨٤.

٦١ . العمار، ٢٠٠٧م: ١٧.
٦٢ . ابن عاشور، لاتا: ١٥١.
٦٣ . الآلوسي، لاتا: ٨٤.
٦٤ . المصدر نفسه: ٨٤.
٦٥ . الزمخشري، ١٩٩٨م: ١١.
٦٦ . الآلوسي، لاتا: ٨٦.
٦٧ . النسفي، لاتا: ٩٠٧.
٦٨ . الزمخشري، ١٩٩٨م: ١١.
٦٩ . الآلوسي، لاتا: ٨٦.
٧٠ . المصدر نفسه: ٨٦.
٧١ . التفتازاني، ١٤٣٠هـ: ٢٨٧.
٧٢ . عصفور، ١٩٧٤م: ٢٠٧.
٧٣ . المصدر نفسه: ٢٠٧.
٧٤ . الهاشمي، لاتا: ٢٣٧.
٧٥ . المصدر نفسه: ٢٣٤.
٧٦ . العمار، ٢٠٠٧م: ١٦.
٧٧ . المصدر نفسه: ١٧.
٧٨ . المصدر نفسه: ١٧ و١٨.
٧٩ . ابن الأثير، لاتا: ١٢٦ و١٢٧.
٨٠ . أحمد، ١٩٨٣م: ١٢٩.
٨١ . الهاشمي، لاتا: ٢٥٨.
٨٢ . عرفه، ١٩٨٥م: ٣٦٣.
٨٣ . التفتازاني، ١٤٣٠هـ: ٣٥٩.
٨٤ . الهاشمي، لاتا: ٢٧٥.
٨٥ . السكاكي، ١٩٨٧م: ٣٧٣.
٨٦ . المصدر نفسه: ٣٧٣.
٨٧ . الآلوسي، لاتا: ٦٧.
٨٨ . المصدر نفسه: ٦٧.
٨٩ . المصدر نفسه: ٦٧.
٩٠ . الزمخشري، ١٩٩٨م: ٨.
٩١ . العمار، ٢٠٠٧م: ٩٥.
٩٢ . الصابوني، ٢٠٠٧م: ٢٥١.

٩٣ . الآلوسي، لاتا: ٩٥.
٩٤ . الزمخشري، ١٩٩٨م: ٢٠.
٩٥ . السعدي، ٢٠٠١م: ٦٥٠.
٩٦ . الآلوسي، لاتا: ٩٦.
٩٧ . شفيعي كدكني، ١٣٧٢: ١١٢.
٩٨ . الهاشمي، لاتا: ٢٨٦ و٢٨٧.
٩٩ . عرفه، ١٩٨٥م: ٢٠٣.
١٠٠ . الجرجاني، لاتا: ٦٦.
١٠١ . ابن عاشور، لاتا: ١٤٢.
١٠٢ . مغنيه، ١٩٨٣م: ٥٤١.
١٠٣ . مغنيه، ٢٠٠٥م: ١٦٢.
١٠٤ . المصدر نفسه: ١٦٢.
١٠٥ . ابن كثير، ٢٠٠٤م: ١٤٤٩.
١٠٦ . ابن عاشور، لاتا: ١٦٦ و١٦٧.
١٠٧ . الآلوسي، لاتا: ٩٥.
١٠٨ . مغنيه، ٢٠٠٥م: ١٦٧.
١٠٩ . ابن كثير، ٢٠٠٤م: ١٤٤٥.
١١٠ . التفتازاني، ١٤٣٠هـ: ٤١٥.
١١١ . الهاشمي، لاتا: ٢٥١.
١١٢ . القزويني، ٢٠٠٣م: ٢٠٥.
١١٣ . عرفان، ١٣٨٥هـ، ج٢: ١٢٣.
١١٤ . الصابوني، ٢٠٠٧م: ٢٤٩.
١١٥ . ابن عاشور، لاتا: ١٩٥.
١١٦ . لاشين، ١٩٨٦م: ٥.
١١٧ . الهاشمي، لاتا: ٣٠٢.
١١٨ . السكاكي، ١٩٨٧: ٤٢٤.
١١٩ . القزويني، ٢٠٠٣م: ٢٥٥.
١٢٠ . التفتازاني، ١٤٣٠: ٤١٨.
١٢١ . السكاكي، ١٩٨٧م: ٤٢٥.
١٢٢ . الهاشمي، لاتا: ٣١٠.
١٢٣ . مغنيه، ١٩٨٣م: ٥٤١.
١٢٤ . الآلوسي، لاتا: ٩٠.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.
١. الآلوسي، محمود شكري،(لاتا)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الجزء الحادي والعشرون، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٢. أحمد، مطلوب، (١٩٨٣م)، معجم مصطلحات بلاغيّة، العراق، مطبعة المجمع العراقي.
٣. ابن أثير، ضياء الدين، (لاتا)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدم وعلق عليه الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة، ط٢، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر.
٤. ابن عاشور، محمد طاهر، (لاتا)، تفسير التحرير والتنوير، المجلد الحادي والعشرون، بيروت، مؤسسة التاريخ.
٥. ابن كثير، إسماعيل بن القرشي، (٢٠٠٤م)، تفسير ابن كثير، اعتنى به وراجعه أحمد إبراهيم زَهوة، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي.
٦. التفتازاني، سعد الدين، (١٤٣٠هـ)، شرح المختصر في المعاني والبيان والبديع، ط٥، قم، منشورات اسماعيليان.
٧. الجرجاني، عبدالقاهر، (لاتا)، دلائل الإعجاز، المحقق أبوفهر محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي.
٨. الخطيب القزويني، جلال الدين محمد، (٢٠٠٣م)، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني، البيان والبديع)، وضع حواشه إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلميّة.
٩. الزمخشري، محمد بن محمود، (١٩٩٨م)، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوّض، الجزء الخامس، ط١، رياض، مكتبة العبيكان.
١٠. السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، (٢٠٠١م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، قدّم له عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل ومحمد الصالح العثيمين، اعتنى به تحقيقاً ومقابلة عبدالرحمن بن معلّا اللويحق، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان.
١١. السكاكي، يوسف إبن أبي بكر، (١٩٨٧م)، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور،ط٢، بيروت، دار الكتب العلميّة.
١٢. السيوطي، جلال الدين، (لاتا)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، ج٣، المملكة العربيّة السعوديّة، وزارة الشؤون الإسلاميّة والأوقاف والدعوة والإرشاد.
١٣. شفیعی کدکنی، محمد رضا، (١٣٧٢)، صور خیال در شعر فارسی، چاپ سوم، تهران،نشر آگاه.
١٤. الصابوني، الشيخ محمد على، (٢٠٠٧م)، الإبداع البيانيَّ في القرآن العظيم، بيروت، المكتبة العصريّة.
١٥. صالح، عبد القادر محمد، (لاتا)، التفسير والمفسرون في العصر الحديث، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر.
١٦. ضيف، شوقي، (١١١٩م)، البلاغة تطوّر وتاريخ، ط٧، القاهرة، دار المعارف.
١٧. الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير، (٢٠٠١م)، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الجزء الثامن عشر، ط١، القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
١٨. عرفان، حسن، (١٣٨٥هـ)، ترجمة وشرح جواهر البلاغة، المجلّد الأوّل (المعاني) ، قم، نشر بلاغت.
١٩. ـــــــــــ، لاشين عبدالفتاح : البديع في ضوء اساليب القرآن مكتبة الانجلو المصرية ، ط٣ ، ١٩٨٦ ،.(١٣٨٥هـ)، ترجمة وشرح جواهر البلاغة، المجلّد الثاني (البيان والبديع)، قم، نشر بلاغت.
٢٠. عرفه، عبدالعزيز عبدالمعطى، (١٩٨٥م)، قضية الإعجاز القرآني، ط١، بيروت،عالم الكتب.
٢١. عصفور، جابر، (١٩٧٤م)، الصورة الفنيّة في التراث النقدي والبلاغي، مصر، دار الثقافة.
٢٢. العمّار، عبدالعزيز بن صالح، (٢٠٠٧م)، التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن (دراسة بلاغيّة تحليليّة)، ط١، الإمارات، سلسلة محكمة تصدر عن جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.

٢٣. لاشين، عبد الفتاح، (١٩٨٦م)، البديع في ضوء أساليب القرآن، ط٣، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية.
٢٤. مغنيّة، محمد جواد، (٢٠٠٥م)، التفسير الكاشف، ط٣، قم، دار الكتّاب الإسلامي.
٢٥. ـــــــــــ، (١٩٨٣م)، التفسير المبين، ط٢، بيروت، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر.
٢٦. النسفي، عبدالله بن أحمد، (لاتا)، تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التدويل، تحقيق سيّد زكريا، المجلد الأول، بيروت، مكتبة نزارمصطفى الباز.
٢٧. الهاشمي، أحمد، (لاتا)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. ضبط وتدقيق وتوثيق الدكتور يوسف الصميلي، لاطا، بيروت، المكتبة العصريّة.

مقالات

٢٨. جمي، أبو جمعة، (٢٠٠٣م)، «أسلوبية الإيجاز في الخطاب العربي»، مجلة آفاق الثقافة والتراث، المغرب، العدد ٤٤، السنة الحادية عشرة، ٥٧ _ ٧٩.
٢٩. داود، هديل عبدالحليم، (٢٠١٠م)، «مسوغات التقديم والتأخير في سورة البقرة»، مجلة أبحاث كليّة التربيّة الأساسيّة،جامعة موصل، المجلد ٩، العدد٤، ٢٠٥ _ ٢٣٢.

رسالات

٣٠. محمد شلدان، فاطمة، (٢٠١٠م)، «المناسبة بين الفواصل القرآنيّة وآياتها (دراسة تطبيقيّة على سورة «لقمان، السجدة، يس، الصافات، ص)»، رسالة الماجستير، الجامعة الإسلاميّة، غزة، كلية أصول الدين، عماد الدراسات العليا، قسم التفسير وعلوم القرآن.

Miracle of rhetoric in Surah Luqman: A descriptive and comparative study

Dr. esmail Ashraf,Khu university **Dr.Abdollah Hosseini**, **Assistant prof. Arabic language and literature**, **Kharazmi University**.

Abstract:

The scholars' tendency to understanding the secrets of Quran's miracle and the elegance of its orders is one of the important factors which made them to learn the Arabic language and its rules, especially its rhetoric . That is why the scholars, especially the Muslims have made a great attempt at investigating the Quran. They made an attempt at interpreting the sentences ,at studying the rhetorical devices , deriving and explaining the skills of rhetoric used in Quran. Quran had a great effect on improving the rhetoric , and the rhetoric of Quran can prove the miracle of Quran. This study aims at explaining Miracle of the rhetoric in Quran,and then the rhetorical devices in Surah Luqman are investigated.

Keywords: Miracle of Quran, Luqman, rhetoric , meaning, expression, Figures of speech.